

المتشائم

بقية ما نشر في العدد الماضي



فردية ، أى أن كلما يدور ببالهم هوان يحققوا لأنفسهم من المتعة والنعيم أكبر نصيب ؛ ولا يهمهم بعد ذلك أشقى الآخرون أم سعدوا ؛ أساير وطنهم ركب الحضارة أم تخلف ؛ وقد يروق لهم أن يحتل وطنهم المكان اللائق الذى يحفظ لأفراده الاحترام والاستقلال ، ولكن على شرط أن يكون ذلك على أيدي غيرهم ، فإنهم غير مستعدين بأن يضحوا أبداً برفاهيتهم ورغدهم فى سبيل الوطن وأبناء الوطن ؛ وأما الفريق الآخر فإن نظرتهم إلى الأشياء نظرة عامة ، أو على الأرجح

عارية ، كلما تعددت مشاكله ، وزادت حيرته ، وأعيتته الحلول ، فألمه والحال هذه يختلف عن ألم الجاهل ، لأنه يتعمق فى جذور النفس ، ويجرى مع الدم ، ولا يمكن أن يزول بزوال الباعث ، بل إن الأثر يبقى طويلاً وعلى صاحبه أن يقاسى متاعبه كل هذه المدة . . . وغير هذا ألم الجاهل ، فهو ألم سطحي أو ألم جثامى فى الغالب وبامكان صاحبه أن يتخلص منه

كانت الساعة السادسة والرابع حينما كان محمود ينتظر « الترام » على المحطة . . . وأقبل « الترام » بقرعته. وضجيجيه ، متباطئاً متمهلاً كأنه مدفوع إلى ذلك دفعا . . . وصعد إليه محمود وكان يتوقع أن يراه مزحوماً بإخوانه الطلبة الذين إما أن يكون الحظ قد خانهم كما خانته وإما أن يكونوا قد قعدوا عن أداء الواجب ، ودفعوا ثمن هذا التقصير من راحتهم ومن أعصابهم ، ولكنه لم ير منهم أحداً ، والظاهر أنه لم يكن مهتماً لهذا الامتحان أحد غيره ، وإنما

قصة سعد

نظرة وطنية وإنسانية فى آن واحد . إنهم فرضوا على أنفسهم أن يقاسوا المموم ويرهقوا الأعصاب ، لا لأنهم فى غنى عن الراحة والطمأنينة ، ولكن لأنهم يشعرون فى قرارة أنفسهم بأن واجبهم نحو الوطن أولاً ونحو الإنسانية ثانياً هو الذى يرغبهم على السير فى هذا الطريق الوعر ، والمسئول الوحيد عن هذه الفوضى التى تسود العالم هى « المدينة »

حالما يتخلص من مسببه ، وتابع سلسلة تفكيره وهو يقول : « فهل الأفضل للإنسان — أو بتعبير أدق — هل الأفضل للإنسانية أن يكون الإنسان جاهلاً سعيداً — والسعادة هنا نسبية طبعاً — أم أن يكون متعلماً شقيماً ؟ . فتبدى له وجهان للإجابة باعتبار نظرة الشخص نفسه للأمور ؛ فهؤلاء الذين يفضلون الراحة مع الجهل ، على العناء مع العلم إنما ينظرون إلى الأشياء نظرة

طالعت هذه الوجوه الكالحة المغبرة ، وجوه العمال والفلاحين وقد صور عليها الدهر بوضوح ، معانى الشقاء والحرمان والصراع الدائر بين الحياة والموت ، فأحسن التصوير ؛ وحدث نفسه ترى أنا الرجل المتعلم أسعد حالاً من هؤلاء المساكين ؟ » وجاء جوابه بالنفى ؛ فإنه يرى أنه كلما اتسع أفق الإنسان ، وعمق إدراكه للنفس ، وزالت الغشاوة عن الحقائق فتبدت له

سواه ، ونظر إلى الساعة فإذا عقرباها
يشيران إلى الساعة إلاربعا فأمامه
ساعة وربع قبل أن يبتدىء الامتحان ،
وقرر أن يجلس في أحد المقاهى حتى
يقرب الحين ، وطلب فنجاناً من القهوة
ولم يحاول أن يركز اهتمامه في شيء
معين ، والظاهر أن رأسه قد اكتفى
ولم يعد في طوقه أن يحتمل أكثر مما
احتمل ، وإلا انفجر ، واكتفى بالنظر
إلى الغادين والرائحين دون أن يكلف
نفسه عناء التفكير في شيء ولكن
القلق مع ذلك لم يفارقه لحظة من
اللحظات ، وكان ينظر إلى الساعة
من حين إلى حين ولما بقى على الموعد
نصف ساعة صفق للخادم ودفع له
الحساب وتوجه إلى المدرسة التي
سيمتحن بها مسترشداً بتوجيه صديق له
فلم يكن قد حضر هذه المدرسة قبل
هذه المرة . يتابع سكة « الترام »
محطتين يمشى بعدهما قليلاً فيجد على
يمينه زقاقاً يدخله ويمشى فيه حتى يصل
إلى نهايته ، فيفضى به ذلك إلى شارع
آخر مواز للشارع الأول ، ويتخذ فيه
طريقه جهة اليمين ، ويمشى بضع
خطوات فيلقى المدرسة أمامه ؛ وعندما
وصل محمود إلى هذا الحد لم يجد لهذه
المدرسة أثراً ، لا بد أن هناك خطأ
إذن ، إما أنه لم يتبع التعليمات كما يجب ،
وإما أن صاحبه لم يصف له الطريق

كما يجب أيضاً . . . واضطر إلى أن
يعود أدراجه ليطمئن إلى أنه لم يرتكب
خطأً ، وإن كان يتمنى في قرارة
نفسه أن يكون هو صاحب الخطأ .
ووصل إلى الشارع العام ، وعدّ محطة
ومحطتين ، فلم يجد على يمينه شارعاً
آخر غير هذا الزقاق الذي عاد منه قبل
لحظة . إذن فالخطأ من صاحبه ، إنه
لم يتحرر الدقة في وصفه ، وسأل أحد
المارة فأخذ يقول له كلاماً طويلاً
عريضاً قد يكافئه نصف ساعة قبل
أن يصل إلى وجهته . نصف ساعة ؟ ..
فكم هي الساعة الآن ؟ .. ونظر إلى
ساعته فإذا بها تشير إلى الثامنة إلا عشر
دقائق . . . يا لله . . . إنه لم يبق
إلا عشر دقائق على الامتحان ؛
وارتج عليه ، وشعر بأن الدم أخذ
يتدفق إلى وجهه حاراً ساخناً ، وأن
دقات قلبه أخذت تسرع كأنها تنبئه
بقدوم مصيبته . يارب . . . ماذا
يمكن أن يفعل الآن ؟ ماذا يمكن أن
يفعل ؟ أليس من خلاص من هذه
الحيرة ؟ . . . أمممكن أن يذهب بمجهود
عام كامل هكذا أدراج الرياح ؟ ..
ولمح وهو في هذا الموقف الحرج سيارة
أجرة فلمحت في ذهنه فكرة وجرى
إليها وهو يصيح . . . « تاكسى . . .
تاكسى » .
ووقف السائق . .

أى خدمة ؟ . . .
وقال له وهو يسرع في الدخول .
مدرسة الشيخ صالح . . . لا بد
أن تعرفها ؟ .
— بالتأكيد .
— أسرع من فضلك . . .
أسرع وإلا فاتى الامتحان . . .
وتحركت السيارة . . . ودخلت
في شارع وخرجت من شارع ، ولفت
في زقاق ، وانعطفت إلى زقاق آخر ،
فلم يكن بالحالة الطبيعية التي تسمح له
بأن يلاحظ كل هذا ، ووقفت أخيراً
وقال له السائق وهو يشير إلى باب
كبير قديم كتب عليه بخط سقيم
(بالطباشير) مدرسة الشيخ صالح .
ودفع له الأجر ، ودلف إلى المدرسة ،
ووصل الفصل الذي سيمتحن فيه بعد
أن اطلع على رقم جلوسه ، فألقي
الطلاب قد انتظموا في مقاعدهم ،
وجلس هو في مقعده ، وأحس بعبء
ثقيل ينزاح عن كاهله ، فتنفس
الصعداء وعأوده الهدوء ، وراح يحفف
عن وجهه العرق المتصبب وكان قد
بقى على توزيع الأسئلة خمس دقائق
فشغل نفسه بكتابة الاسم ؛ المادة
المتحن بها ؛ رقم الجلوس ؛ التاريخ ؛
على ظهر ورقة الإجابة ؛ ومر في هذا
الأثناء أحد المشرفين وهو يتفقد أوراق
الطلبة ، خشية الأخطاء ، ولما وصله

- ۱۱۸ -

مكتبة الطلبة
أطلب منها يومياً
جريدة الزمان العراقية
وشهرية
(الكتاب) والأديب
وجريدة كل شيء اللبنانية
كل يوم اثنين
ومجلة الاتحاد النسائي العراقي
ومختلف الكتب
العربية والأجنبية